﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَـٰفِرِينَ ١٣﴾ [الروم: 13]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقة بين قيام السّاعة والإبلاس، حيث لا شفعاء من الشّركاء ولا من النّاس

ذَكَرَ اللّهُ في هذه الآية سَبَبًا من أسْبابِ الإبْلاسِ وأعْظَمَها حينَئِذٍ - بينما في الآية السّابقة ذَكَر إبلاس المجرمين يوم القيامة - وهو أنَّهم لَمْ يَجِدوا شُفَعاءَ مِن آلِهَتِهِمُ الَّتي أشْرَكوا بِها، وكانوا يَحْسَبونَها شُفَعاءَ عِنْدَ اللّهِ، فلَمّا نَظَروا وقَلَّبوا النَّظَرَ فلَمْ يَجِدوا شُفَعاءَ خابوا وخَسِئوا وأُبْلِسوا، ولَهم أسْبابٌ خَيْبَةٍ أُخْرى لَمْ يَتَعَلَّقِ الغَرَضُ بِذِكْرِها، وأمّا ما يَنالُهم مِنَ العَذابِ، فذَلِكَ حالَةُ يَأْسٍ لا حالَةُ إبْلاسٍ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾: (شفع) أصلٌ يَدُلُّ عَلَى مُقارَنَة الشَّيْئَيْنِ، مِنْ ذَلِكَ: الشَّفْعُ خِلافُ الْوَتْرِ[2]، والشّفيع: الشّافع، والجمع شفعاء، واستشفع بفلان على فلان، وتشفَّع له إليه، فشفّعه فيه، وقال الفارسيّ: استشفعه: طلب منه الشّفاعة، أي قال له: كن لي شافعًا، والشُّفعة في الشّيء: القضاء به لصاحبه[3]، والشَّفاعَةُ: الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلًا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حُرْمَة ومَرْتَبة، إلى مَنْ هو أدْنى، ومنه: الشَّفاعَةُ في القيامة، كَقوله تعالى: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾ [مريم: 87]، ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [طه: 109].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 62.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شفع).
(3) ابن سيده، المحكم: (شفع).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تهافت الشّفعاء من الشّركاء، وتبرُّؤ هؤلاء من أولئك

لم يكُن للمُشركينَ مِن معبوداتِهم الباطلةِ الَّتي جعَلوها شُرَكاءَ للّهِ شُفَعاءُ يَشفَعونَ لهم في الآخِرةِ، فيَجلِبونَ لهم نَفعًا، أو يَدفَعونَ عنهم ضُرًّا، ويَكفُرُ أولئك المُشرِكونَ بمَنِ اتَّخَذوهم شُرَكاءَ للّهِ تعالى[1].

وترشدُ الآيةُ إلى تبرُّؤ المشركين ممن أشركوهم مع الله وتبرُّؤ المعبودين ممَّن عبدوهم، وإلى أنَّ الشفاعة لله وحده، ولا تُطلَب من غيره، وإلى تقرير عقيدة أن لا شفاعة لمشرك ولا كافر يوم القيامة، وبطلان ما يعتقده المبطلون من وجود من يشفع لأهل الشرك والكفر[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ إيثار النَّفي بـ(لَمْ) في السّياق المحكم:

الأداة (لَـــمْ)، تقلب المضارع إلى معنى الماضي

الواو في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ﴾، عاطفة على ما قَبْلها، ونَفْيُ فِعْلِ ﴿يَكُن﴾ بـ(لَم) الَّتي تُخَلِّصُ المُضارِعَ لِلْمُضيِّ، لِلْإشارَةِ إلى تَحْقيقِ حُصولِ هَذا النَّفْيِ، مِثْلَ قَوْلِهِ ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: 1][3].

معنى اللّام في ﴿لَّهُم﴾ ونُكْتة تقديمها:

لا شفاعة لِمُشْرِك ولا لكافر يوم القيامة

اللّام في ﴿لَّهُم﴾ للاستحقاق، والكَوْنُ المَنفيُّ نَفى شفاعة شُركائهم، وقُدِّم شِبْه الجملة؛ للتَّعجيل بِما يَسوؤهم، ويُيَئِّسهم، وذلك منتهى خيبة الأمل، الّذي يكسو النّفوس حسرة ويأسًا، حين لا ينالهم من شركائهم شفاعة، ممّا كانوا يرجون ويؤمّلون.

دلالة ﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾:

تغليب العاقل على غير العاقل

أفادت ﴿مِّن﴾ التَّبْعيض، وفيه استغراق النَّفْي، أي: نَفي الشُّفعاء

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 11/ 17، والسَّعْدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 638، وابن عثيمين، تفسير سورة الرّوم، ص: 74.

(2) السَّعْدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 638، والجزائري، أيسر التفاسير: 4/ 165.

(3) البَيضاوي، أنوار التَّنزيل: 4/ 203، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 62.

مُطْلَقًا، والمرادُ بِشُركائهم الأصنامُ، وعَبَّر بـ﴿مِّن﴾؛ لِمعاملتهم إيّاها مُعاملة العقلاء، أو المقصود بالشُّفعاء الأوثان، والشّياطين، ورؤساؤهم، فعُبِّرَ بِالحرف ﴿مِّن﴾، لِتَغليب العاقل على غير العاقل.

بلاغة مقابلة ضَميرِ الجمْعِ بصيغةِ جمْعِ الشُّركاءِ:

دِلالـــة نَـفْـي الجَمْع على نَفْي المفرد

مُقابَلة ضَميرِ الجمْعِ بصيغةِ جمْعِ الشُّركاءِ في قولِه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾، مِن بابِ التَّوزيعِ، أي: لم يكُنْ لأحدٍ مِن المُجرِمين أحَدٌ شَفيعٌ أصْلًا، فضْلًا عن عِدَّةِ شُفعاءَ، وكذلك قولُه: ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾؛ لأنَّ المرادَ أنَّهم يَكفُرون بهم يومَ تقومُ السّاعةُ[1].

معنى الواو في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم﴾:

أثـر المُـعـايَـرة والـتَـحْـسـير في ذلـك المـوقـف الخطير

الواو في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن﴾ حاليَّة، والمعنى: أنَّهم لَم يَشْفعوا لَهُم، مع أنَّهم سَبَب كُفْرهم، ونُكْتَة إضافة الشّركاء إلى ضميرهم هي مُعايَرَتهم، وتحسيرهم؛ لِتَخَلّي مَن كان يَرْجون شفاعتهم عنهم في ذلك الموقف العظيم بين يدي رَبِّ العالمين، يوم تَتَجَلَّى الحقائق.

سِرُّ إيثار لفظ جمع ﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾:

كـلّ شـريـك في الدّنيا، سوف لا يكون شفيعًا في الآخرة

الفرق الدِّلالي بين جَمْعَي المُذَكَّر السّالم، وجَمْع التَّكسير، أنَّ جَمْع التَّكسير في غالب أوزانه يَدُلُّ على الكَثْرَة، بخلاف جَمع المُذَكَّر السّالم، فإنَّه يَدُلُّ على القِلَّة، في غالب دلالاته؛ إلّا إذا وردَ في سياق يَدُلُّ على الكثرة والاستغراق؛ لذلك أوثر التَّعبير بِجَمْع التَّكسير ﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾، الّذي يَغْلُب فيه معنى الاسميَّة على جَمْع المُذَكَّر السّالم، (شافعين) الّذي يغلب فيه معنى الوَصْفيَّة؛ للإشارة إلى أنَّه مَع كَثْرة الشّافعين إلّا أنَّه لا يوجد شَفيع واحد يَشْفَع لَهُم، فكُلٌّ شَريك يُرْتَجى أن يكون شفيعًا، ولَمْ يكُن الشُّرَكاء كافَّة شُفعاء كافَّة، فكان الجَمْع في مقابلة الجَمْع، فالمراد نَفي الشَّفاعة كَخَبَر، فجَمْع التَّكسير دَلَّ على

(1) أبو السُّعود، إرشاد العَقل السَّليم: 4/ 353، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 63.

اسميَّة شُفعاء، أي: نَفْي وجود الشُّفَعاء الذين ينتفعون بِشفاعتهم يوم القيامة البَتَّة، والله أعلم بمراده.

أمّا قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠﴾ [الشُّعراء: 100]، فالتَّعبير بِجَمْع المُذَكَّر السّالم الدّال على القِلَّة في تلك الآية، أفاد أيضًا الاستغراق لوقوع ﴿مِن﴾ [الشُّعراء: 100] في سياق النَّفْي، وهذا أكثر تأكيدًا في نَفْي الشَّفاعة عن الكافرين يوم القيامة؛ حيث ترادف التَّعبير بالجَمْع الدّال عَلى القِلَّة، مَعَ الاستغراق في تأكيد هذا المعنى، كما أنَّ جَمْع المُذَكَّر السّالم تظهر فيه قوَّة الصِّفة، وحصول الجَمْع، وجَمْعُ المُذَكَّر السّالم أظهر ﴿شَٰفِعِينَ ۝١٠٠﴾ [الشُّعراء: 100] في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠﴾ [الشُّعراء: 100] بقوَّة الفعل حتَّى يصبح قريبًا مِن الفعل، وأنَّ هذه الفِعْلة باتت اسمًا لأصحابها يُسَمَّوْن بها، أي: لا تنفعهم شفاعة مَن يقومون بفِعْل التَّشَفُّع وأشْعَرَ جَمْعُ المُذَكَّر السّالم ﴿ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر: 48] في سورة المُدَّثِّر: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المُدَّثِّر: 48]، والشُّعَراء في الموضعين بَقوَّة الفعل لِتَمَكُّن الصِّفَة في الموصوف حتى باتت اسمًا له، فدَلَّ على عَدم انتفاعهم بِشفاعة مَن يقومون بالشَّفاعة، وهَذا الخَبَرُ مُسْتَعْمَلٌ في التَّحَسُّرِ والتَّوَجُّع.

لطيفة العدول عن المفرد إلى ﴿شُفَعَٰٓؤُا۟﴾:

عُدِل في سياق الآية الكريمة عن الإفراد (شَفيع) إلى الجَمْع ﴿شُفَعَٰٓؤُا۟﴾؛ لِعِلَّة لَفْظيَّة هي توافقُ الجَمْعَيْن: (شُركاء) و﴿شُفَعَٰٓؤُا۟﴾ في المَبْنى والوزن، أي: مقابلةُ الجَمْعَيْن: جَمْع التَّكسير لِجَمْع التَّكسير، وقد أناب حرف المعنى ﴿مِّن﴾ عَنْ اسم الجِنس المفرد (شَفيع) في إفادة الاستغراق، أي: لم يكن لَهُم أيُّ شَفيع مِن الشُّفعاء؛ لوقوعه في حَيِّز النَّفْي، وأكَّد تَنكير ﴿شُفَعَٰٓؤُا۟﴾ هذا المعنى بِدلالته على العُموم.

المُشاكلة اللَّفظيَّة وأثرها في بيان السّياق

نُكتة التَّعبير بالكَوْن الماضي ﴿وَكَانُوا۟﴾:

الواو في قوله: ﴿وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ عاطفة ما بَعْدَها على

بيان حالة خَيْبة أمَـل، والمـصير المزري المحتوم

جُمْلة ﴿يُبْلِسُ﴾، وفي هذه الجملة ذَكَرَ حالَ الشُّفَعاءِ مَعَهُم، فقالَ: ﴿وَكَانُواْ﴾، أيْ: كَوْنًا هو في غايَةِ الرُّسوخِ[1]، وعُبِّر بِلَفْظ الماضي لتَحَقُّق وقوعه، فقد كفروا بِآلِهَتِهم وشياطينهم ورؤسائهم، حَيْثُ وقَفوا عَلى كُنْهِ أمْرِهم، وعَجْزِهم عن نَفْع أنْفُسِهم، فخاب أمَل هؤلاء المشركين في النَّجاة بَعْد تَيَقُّنهم مِن هلاكهم.

معنى الباء في قوله: ﴿بِشُرَكَآئِهِمْ﴾:

من أشرك بالله، أضاع السّبيل، وهام في مهامه الضّلالة

الباء في قوله: ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ للسَّبَبيَّة؛ أي كان هؤلاء الّذين أساؤوا السّوأى في الدُّنيا، كافرين بِسَبَب إضلال أوثانهم وشياطينهم مِن الإنْس والجنِّ إياهم عن الصراط المستقيم.

بلاغة القصر بتقديم شبه الجملة:

تَـبَرُّؤ المشركين مِن شُركائهم؛ لِعَـجْـزهـم عَـن دَفْـع الـعـذاب عَنْهُم

لّما ذَكَرَ حالَ الشُّفَعاء مَعَ المشركين، ذَكَرَ حالَهم مَع الشُّفَعاء فقالَ: ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾، وقَدَّم شبه جملة الجارّ والمجرور في قوله: ﴿بِشُرَكَآئِهِمْ﴾؛ لإفادة القَصْر، فهؤلاء يوم القيامة يَتَبَرَّؤون مِن شركائهم خاصَّة، نادِمين على صنيعهم الفاسد؛ لاعْتَقادهم اعتقادًا راسِخًا كَوْن أصنامهم آلِهَةً فعَبَدوهم؛ جَرْيًا عَلى عادَتِهم فيما لا يُغْنيهِم مِنَ العِنادِ والبُهْتِ.

عِلَّة إيثار ﴿كَٰفِرِينَ﴾ على (كُفّار):

ظُـهـور قـوَّة الفِعْل في جَمْع المُذَكَّر السّالم، دون جـمـع التّكسير

آثر النَّظمُ الكريمُ جَمْع المُذَكَّر السّالم؛ كي تَظْهَرَ قوَّة الفِعْل فيه أكثر، ويكونَ التَّرْكيز فيه كذلك أكثر؛ لذا أوثر ﴿كَٰفِرِينَ﴾، على جَمْع التَّكسير (كُفّار) لِنَفْي الفِعْل؛ لأنَ فيه معنى الفِعْليَّة، كأنَّه يقول: ينبغي أن يكون شأنهم ودَيْدَنُهم الّذي يُخْبَر عنهم فيه الكُفْر بهؤلاء الشُّركاء، كَما أنَّ جَمْعَ المُذكر السّالم نَفَي الاسميَّة، ونفي وجود الشَّفاعة البَتَّة.

(1) البِقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 15/ 55.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإبلاس واليأس والقنوط:

الإبلاس حُـزْن وكآبة، واليأس انقطاع الطَمَعَ، والقُـنوط أشدُّ اليأس وأقواه

الإبلاس: هو اليَأس والحُزْن والكآبة، فالمُبْلِس هو: الكَئيب الحزين المتندم، وسُمّي إبليس؛ لأنَّه أبْلَس مِن الخَيْر، واليَأس: القُنوط، وقيل: اليَأس نقيض الرَّجاء، أو قَطْع الأمل، يقال: يئس من الشّيء ييأس ويِيئِس؛ والمصدر اليأس واليآسة واليأس، وقد استيأس وأيأسته، وإنه ليائس ويِئِسٌ ويؤوس ويَؤُس، والجمع يُؤوس[1]، وعَرَّفَ أبو هلال العَسْكري اليأس بقوله: "اليأس: انقطاع الطَمَعَ من الشيء"[2].

والقنوط لغةً: مصدر قَنَط يَقنِطُ ويَقنُطُ وقَنِطَ يقنَط وهو قانِطٌ وقَنوط وقنِط[3]، وأصْل هذه المادَّة يدُلُّ عَلَى الْيَأْسِ مِنَ الشَّيْءِ، فالقُنوط: اليأس، وقيل: أشدُّ اليأس من الشَّيْءِ، وقال الشَّوْكاني: "القُنوط: الإياس مِن الرَّحْمَة"[4]، والإبلاس: اليأس الشَّديد، إذا كان مِن سوء عَمَله، وأوجب حُزْنًا وابتلاءً شديدًا مع الخَفْض والفَقْر الشَّديد، واليَأس أعَمُّ مِن أن يكون بِسوء عَمَل الشَّخْص مِن قِبَل نَفْسه، والإبلاس أعَمُّ مِن أن يُلازِم اليَأس، والإبلاس هو التَّسليم للابتلاء والهَلاك، وليس مُقَيَّدًا باليأسْ، والقُنوط عامٌّ، واليَأس خاصٌّ، واليأس جُزْء مِن القُنوط، واليَأس يكون في دَفْع النِّقَم، والقُنوط يكون في اليأس مِن دَفْع النِّقَم، وجَلْب النِّعَم، فالقنوط أشمل حيث يشمل الخير والشَّر، واليأس مِن الخير، ومِن الرَّحْمة أيضًا، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزّمر: 53]؛ أي: لا تيأسوا، وقوله: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥﴾ [الحجر: 55]، وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر: 56].

(1) ابن دريد، جَمْهَرة اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (يئس).
(2) أبو هلال العَسْكري، الفروق اللُّغوية: 1/ 436.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والفَيّومي، المِصباح المُنير: (قنط).
(4) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 11/ 471، والشَّوْكاني، فَتْح القدير: 4/ 260.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»